

الدلالات النفسية لرسومات الأطفال الفلسطينيين " بعد حرب غزة "

د. جميل حسن الطهراوي و د. سناء إبراهيم أبو دقة

كلية التربية - قسم علم النفس

الجامعة الإسلامية - غزة - فلسطين

ملخص: هدفت الدراسة الى معرفة حجم تأثير أطفال غزة بما عايشوه من أحداث مؤلمة أثناء الحرب التي وقعت في الفترة ما بين ٢٧-١٢-٢٠٠٨ الى ١٨-١-٢٠٠٩، من خلال تحليل رسوماتهم، مع استجلاء الفروق في الرسومات في ضوء متغيرات الدراسة. وتكونت عينة الدراسة من رسومات ل (٤٤٥) طفل من أطفال المناطق الشمالية بغزة التي عاشت أسوأ الظروف وقت الحرب، حيث طلب منهم أن يقوموا برسم ما يريدون أو (ما يهمهم) دون أي إحاء أو تدخل. وقد قام الباحثان بتحليل الدلالات النفسية لرسومات الأطفال.

وأظهرت النتائج أن (٨٢,٣%) من الأطفال قاموا برسم الحرب ومتعلقاتها، وكان ترتيبها تنازلياً كالتالي: الطائرات - البيوت والمساجد المهتمة - الصواريخ والقذائف الإسرائيلية - الشهداء - الآليات العسكرية بأنواعها - المقاومين..، وظهر في الرسومات الخوف، الفزع، والحزن على الشهداء والمصابين، كما تجلّى حب مساعدة الآخرين، وأيضاً روح المقاومة لدى هؤلاء الأطفال. وأظهرت النتائج تفوقاً واضحاً للإناث في غنى الرسومات بالعناصر الدالة على الحرب، وشعورهن بمعاناة الآخرين خلالها، كما استخدم (٥٦,٢%) من الأطفال الكتابة لشرح بعض الرسومات التي كانت في أغلبها تحمل رسالة هامة وذكية للمشاهد، لإحساس الطفل بأن ما رسمه لا يكفي لإيصال ما يريد إيصاله للمشاهد، ومن النتائج غير المتوقعة أن (٧٨,٦%) من الأطفال استخدموا الألوان الزاهية على عكس توقعات الباحثين.

وقد أوصى الباحثان بالاهتمام برسومات الأطفال لتوثيق ما جرى في حرب غزة، واعتبروها شهادات صادقة على ما يعانيه أطفالها من تلك الحرب.

الكلمات المفتاحية: رسومات الأطفال، سيكولوجية رسومات الأطفال، الطفل الفلسطيني،

الحروب والأطفال

The psychological implications of children drawings' after "the War on Gaza"

Abstract: This study aimed at studying the painful effect of Gaza war on children which took place in the period between 27-12-2008 to 18.1.2009 by analyzing children drawings in addition to clarifying the differences in the drawings in the light of variables of the study.

The sample consisted of drawings for the (445) children from northern Gaza, who has lived the worst conditions in time of war, where they were asked to draw what they want (or are interested in) without any cueing. The researchers analyzed the drawings focusing on its psychological implications.

Results showed that (82.3%) of the drawings were about war. The drawings highlighted the following items in the descending order: aircrafts – destroyed

houses and mosques – rockets and missiles – the martyrs – military vehicles of all kinds – the resistance. The drawings also showed fear, panic and grief for the martyrs and those who were injured. Moreover, the drawings showed love of helping others and also the spirit of resistance among children. Furthermore, results showed that females' drawings were more stuffed with the war essential elements in addition to their suffering because of others. Results also showed that (56.2%) of the children used writing to explain their drawings, because they felt that their drawing might not convey what they want to communicate. One of the unexpected results of the study was that (78.6%) of children used bright colors.

The researchers have recommended paying more attention to children drawings to document what has happened during the war on Gaza, and considered this to be a true testimony to the suffering of the Gaza children because of war.

Key words: Children drawings, Psychology of children drawings, Palestinian children, war and children.

خلفية الدراسة

لقد عرفت البشرية الرسم منذ بداية التاريخ، وقد برز اهتمام الحضارات السابقة بالرسومات التي تركوها على آثارهم والتي كانت تمثل رسائل لمن يراها تعكس جميع مناحي الحياة لديهم ، وتصور أفراسهم ، وأتراسهم، وآمالهم، وآلامهم. وبقي للرسم مكانته عبر العصور، إذ أنه يتميز بتخبطه حاجز اللغة ومعرفة الكتابة والقراءة، وحظى باهتمام الكثيرين من الباحثين المتخصصين في العلوم المختلفة، مع تباين زوايا اهتمامهم، ومنهم علماء النفس الذين أدلوا بدلوهم في هذا المجال، فقد اهتموا بالرسومات وحللوها لمحاولة سبر أغوار النفس البشرية، ورأوا فيها منجماً غنياً يعكس ما يجول بخاطر صاحبها خصوصاً لدى الأطفال الذين يحظون بتلقائية أكبر من البالغين، فهم يرون أن الرسوم الحرة للأطفال تكشف الكثير من خصائصهم النفسية ، وسماتهم الشخصية، لاسيما وأنها تتيح لهم الفرصة للإسقاطات اللاشعورية فتعكس الجوانب الانفعالية والمزاجية لهم (بدري، 2005:25).

ويرى (بسيوني، 1987: 36) أن البساطة والتلقائية في رسوم الأطفال تعكس قدراً كبيراً من الحقائق والدلالات التي تضيف الكثير لفهم سيكولوجية الطفل وارتقائه وتوافقه واحتياجاته. فرسوم الأطفال تعبير صادق عن رغبات الطفل وحاجاته، ووسيلة لتسجيل حاضره وتطلعاته المستقبلية، وتجسيد لمخاوفه وصراعاته ومفهومه عن ذاته، وهي مرآة تعكس قيمه واتجاهاته إزاء مختلف الأشياء والمواقف.

كما يرى (القريبي، 2001: 6) أن رسوم الأطفال تعد "شكلاً من أشكال التواصل، فهي بمثابة رسائل موجهة إلى الآخرين، ووعاء للفكر والمشاعر، شأنها في ذلك شأن الكلمات، وهي تعبير

الدلالات النفسية لرسومات الأطفال الفلسطينيين "بعد حرب غزة"

صادق عن استعدادات الطفل، وحالته المزاجية الانفعالية، وطاقاته التعبيرية الإبداعية الكامنة واللامحدودة".

وعلى الرغم من اهتمام علماء النفس بما تمثله رسومات الأطفال من معالم نفسية ودلالات إلا أنهم اختلفوا باختلاف زاويا النظر لديهم، وباختلاف رؤيتهم العلمية التي تمثل انعكاساً لما يتبنونه من نظريات علم النفس الأساسية (بدرى، ١٩٩٧؛ فرج، ١٩٩٢؛ الحداد ومهنا، ٢٠٠٠). ونستعرض فيما يلي الفكرة الأساس لبعض النظريات التي حاولت تفسير ما تعنيه رسومات الأطفال نفسياً، ومنها نظرية الواقعية "السادجة" Naive Realism؛ ويقصد بالواقعية هنا إنتاج رسومات ممثلة للواقع من الناحية البصرية دون تحريف وذلك باتباع قواعد وأصول محددة، وقد أطلق البعض على تلك النظرية الواقعية السادجة باعتبار أن الرسوم الواقعية مهما بلغت دقة تمثيلها للواقع تبقى مجرد رموز بصرية، وليست هي الواقع ذاته. إذن فالرسم عند الطفل عبارة عن عملية تسجيل ميكانيكي للأشياء في الواقع المرئي، دون نظرٍ لخصائص نموه الجسمي والحركي والعقلي. والانفعالي. وهناك نظرية أخرى ركزت على التداخيات المعرفية والإدراك العقلي وهي النظرية العقلية Intellectual Theory والتي يرى اصحابها أن الأطفال يرسمون ما يعرفونه لا ما يرونه، ويتم ذلك بطريقة لا شعورية. ويرون أن رسوم الأطفال تستمد من مصدر غير بصري، أي من مفاهيم مجردة Abstracts غير مدركة بالحواس فهي انطباع لما في أذهانهم من مفاهيم عن الأشياء. كما ذهبوا إلى أن معاني الأشياء تتحور، وتتمو، وتحدد ليس لأن هذه الأشياء تتغير في العالم الخارجي، وإنما تبعاً لزيادة خبرات الأطفال بها، ولتطور تكوين مفهوماتهم العقلية عنها، وأن رسوم الأطفال هي وسيلة للتفاهم والتعبير عن تلك المفاهيم بما تتضمنه من إدراك، تجريد، وتعميم أكثر مما هي وسيلة لإظهار النواحي الفنية، والجمالية. أما النظرية التحليلية Analytical Theory فهي لا ترى في الرسم إلا مجرد إسقاطات فوتوغرافية لما يراه الأطفال في الواقع المرئي، أو أنها نشاط عقلي بحت يعكس عوامل معرفية معقدة، وإنما هي محكومة بعوامل أخرى وجدانية مرتبطة بمزاج الطفل وشخصيته وصراعاته ومشاعره ورغباته الدفينة، وتجاربه الشخصية، وغرائزه واحتياجاته المحبطة، إذ تعمل هذه المتغيرات كمنبهات لا شعورية بالنسبة للطفل، لذا فهم يستخدمون الرسوم كأداة إسقاطية تشخيصية لمساعدتنا على كشف المشكلات والصراعات التي يواجهها الفرد وتؤثر على نموه، بل أصبحت وسيلة لدراسة العلاقات والتفاعلات الأسرية والاتجاهات الاجتماعية. وبالنسبة للنظرية السلوكية Behaviorism فأصحابها يؤكدون على أهمية الدراسة التجريبية، وتحليل القوى والظروف البيئية (المثيرات)، والاستجابات، واكتشاف القوانين التي تحكم ذلك، ويبرزون دور

د. جميل الطهراوي و د. سناء أبو دقة

التعلم والعوامل البيئية والخبرة أكثر من أي عوامل أخرى في تشكيل السلوك، وهذا يعني اختبار الرسومات وتشريحها إلى عدة أجزاء بحسب تطور عمليات التخطيط والتنظيم الممكن ملاحظتها. ويرى الباحثان أن النظرية الواقعية هي الأقرب لتفسير الرسومات التي يسعيان لتحليلها في هذه الدراسة، ويفترضان أن الطفل الذي سيرسم ما يشير إلى حرب غزة، سيصور ما رآه فعلاً، وعاشه على الطبيعة أثناء الحرب الضارية التي شنتها إسرائيل، وقد تجلى هذا بشكل واضح عندما رسم الأطفال القنابل الفسفورية التي لم يعرفها حتى الكبار من قبل، والتي تميزت بشكلها المختلف عن أية قنابل أخرى.

وبالنسبة للفروق بين الجنسين، فقد بينت الدراسات أن أفراد كل جنس يميل إلى رسم الموضوعات المستمدة من الاهتمامات والنشاطات التي يمارسونها، ومن الطبيعة المميزة لنوع جنسهم، فالذكور غالباً ما يفضلون رسم الموضوعات التي تعكس القوة الجسمية والعضلية، والتي يغلب عليها طابع الحركة والعنف كتسجيل الموضوعات البطولية في الحروب والقصص التاريخية، ومواقع العمل كالبناء والتصنيع والرياضات العنيفة. والإناث يملن إلى رسم موضوعات أكثر اتصالاً بنشاطات الأنوثة المتأثرة بالعادات الاجتماعية كالأعمال المنزلية، وتنسيق الزهور، والطيور والحيوانات والعرائس والفراشات وحفلات الزفاف، كما يرسمن الأشياء الساكنة، والموضوعات المثيرة لهن من الناحية الجمالية. "وتعكس هذه الفروق إلى حد بعيد اهتمامات أفراد كل جنس بوجه معينة من الحياة، والنشاطات التي يمارسونها في إطار الدور الذي يلعبونه داخل الجماعة، وتبعاً لعملية التتميط الجنسي داخل ثقافة معينة، وما يترتب على ذلك كله من تنمية وتطوير هوياتهم الجنسية، وإكسابهم أنماطاً سلوكية محددة تنمشى معها" (القرطي، ٢٠٠١: ١١٦). ويشكل المنزل محوراً هاماً لاهتمامات البنات، ويحظى بقدر كبير من تفكيرهن، أكثر من الذكور الذين يحظون بتشجيع واستقلالية أكثر للانطلاق والمخاطرة في نشاطات خارج نطاق المنزل.

وقد مر الأطفال الفلسطينيون بتجربة صعبة أثناء معاشتهم لحرب غزة الأخيرة والتي جرت في الفترة (٢٠٠٨/١٢/٢٧ - ٢٠٠٩/١/١٨) ولمدة ٢٣ يوماً، حيث استخدمت إسرائيل أحدث الأسلحة البرية والجوية والبحرية بما فيها القذائف المحرمة دولياً ضد شعب يعيش محاصراً في منطقة صغيرة مزدحمة، تعد من الأماكن الأكثر كثافة في العالم (٣٨٨١ فرد في الكيلومتر المربع). وخلفت الحرب أكثر من ١٣٠٠ شهيد، وأصابت أكثر من ٥٠٠٠ جريح، كما دمرت أكثر من ٥٠٠٠ مبني سكني. وحتى الأطفال لم ترحمهم هذه الحرب القاسية فقد بلغ عدد الشهداء من الأطفال ٤١٢ طفل و ١١٠ امرأة (المركز العربي لحقوق الانسان، ٢٠٠٩).

الدلالات النفسية لرسومات الأطفال الفلسطينيين "بعد حرب غزة"

مشكلة الدراسة

من خلال معايشة الباحثين للحرب الدامية التي شهدتها غزة، والتي عانى منها الكبار والصغار بشكل غير مسبوق - حتى في الحروب الكبيرة السابقة- ارتأى الباحثان أهمية دراسة ما تمثله رسومات الأطفال بعد هذه الأحداث المرعبة، وذلك عن طريق تحليل رسوماتهم الحرة، والتي سيترك فيها الخيار لكل تلميذ لرسم ما يهتم به وبشغل تفكيره، ليتم تحليل الرسومات التي تطرقت للحرب تحليلاً كمياً ونوعياً يتناول المحتوى ، الأشكال ، الأحجام، الألوان، والكتابة في كل رسمه، للخروج بما تحمله هذه الرسومات من دلالات نفسية، اجتماعية تعكس تأثر الأطفال بالحرب.

وتحدد مشكلة الدراسة في الإجابة على التساؤلات التالية:

- ١- ما الوزن النسبي الذي تمثله رسومات الأطفال المعبرة عن أحداث حرب غزة، من مجموع رسومات أطفال عينة الدراسة؟
- ٢- ما أكثر العناصر المعبرة عن الحرب تكراراً في رسومات الأطفال؟
- ٣- ما الدلالات الانفعالية الأكثر بروزاً في رسومات الأطفال؟
- ٤- ما دلالات استخدام الكتابة في رسومات الأطفال المعبرة عن الحرب؟
- ٥- ما الدلالات النفسية للألوان الأكثر استخداماً في رسومات الأطفال؟
- ٦- ما الفروق بين رسومات الأطفال الذكور ورسومات الإناث؟

أهداف الدراسة

تهدف هذه الدراسة إلى تحقيق الأهداف التالية:

- معرفة حجم تأثر الأطفال بما عايشوه من أحداث مؤلمة أثناء حرب غزة، من خلال تعبيرهم بالرسم الحر، حيث سيترك الخيار للأطفال لرسم ما يريدون دون أي إحاء، أو توجيه، أو تدخل.
- تحليل كيفية تعبير أطفال غزة عن الحرب التي عايشوها في رسوماتهم (طائرات، دبابات، مدفعية، بيوت مهدمة، مقاومين، شهداء، جرحى...الخ) مع محاولة استنباط الانفعالات المستوحاة من تفسير دلالات الرسوم وحركتها و اختيار الأطفال للألوان.
- استجلاء الفروق في رسومات الاطفال في ضوء متغيرات الدراسة.

أهمية الدراسة

تنبثق أهمية هذه الدراسة في كونها تمثل نوعاً من التوثيق لما تعرضت له مدينة غزة من أحداث خلال الحرب عليها، ويرى الباحثان أن رسومات الأطفال لا تقل أهمية عن تحقيقات اللجان الدولية التي تناولت أحداث الحرب على غزة.

كما قد تشكل الدراسة إضافة إلى الدراسات العربية القليلة التي تناولت رسومات الأطفال، خصوصاً في المجتمع الفلسطيني، الذي عانى أطفاله من الحرب ومن الحصار الذي كان قبل الحرب وامتد بعدها، وقد تفيد نتائج الدراسة المرشدين النفسيين والمنشطين العاملين في مجال الطفولة، في زيادة الفهم لمشاعر وأفكار الطفل الفلسطيني، وتخطيط وتنفيذ البرامج المناسبة لهم.

أدبيات الدراسة

لقد أولت العديد من الدراسات العربية والأجنبية اهتماماً واضحاً بهذا الموضوع منها: دراسة مؤسسة السلام الكوني (٢٠٠٨) التي هدفت إلى الوصول إلى نتائج إحصائية استنتاجية لقراءة واستخراج القوانين التي حكمت الأطفال في إنتاجهم للصور والرسومات، وعلاقتها بظروف الحرب على لبنان، ومدى تأثير هذه الظروف على نوعية تفكيرهم ووعيهم الواقع، والتغيرات النفسية والبنوية المستجدة عليه من جرائها، وقد كانت العينة التي ارتكزت عليها الدراسة ٢٨٠ رسماً لأطفال راوحت أعمارهم بين ٥ سنوات و١٤ سنة. وقد بينت الدراسة أن النقلة النوعية والتغيير المفاجيء والسريع للأطفال الذين رحلوا بواسطة عمليات الإجلاء خلال حرب ١٢ تموز ٢٠٠٦ كان لها تأثير "عميق" على نفسياتهم ومفاهيمهم فانعكست الحرب على طرق تعبيرهم، وتجلت بأنواع اللعب والرسوم التي أبدعوها في أماكن التجمع.

وقد بينت دراسة برنباوم وآخرون (Barenbaum et al, 2004) النقدية الشاملة لعدد كبير من الدراسات المتعلقة بالأزمات والحروب وأثرها على الأطفال في دول العالم المختلفة، أن الأدوات والطرق التشخيصية ذات الأبعاد الثقافية لازمة وضرورية للتعامل مع أعراض الصدمة والعجز الذي ينتج عنها، وأضافت الدراسة إلى أهمية إرشاد الأهل والمعلمين أهمية ملاحظة الضيق عند الأطفال، واستخدام التدخل المناسب لتلبية احتياجاتهم النفسية مع التأكيد على أهمية تقديم الدعم من خلال مجموعات.

وقد قام تيشمان (Teichmam, 2001) بدراسة صورة العرب واليهود عند الأطفال اليهود والذين تتراوح أعمارهم بين ٤-١٥ عاماً من تفحص رسوماتهم، وكذلك إجاباتهم على استبانة أعدت خصيصاً لهذا الغرض تقيس معتقداتهم ورغباتهم، وقد بينت النتائج أنه بالرغم من اختلاف العمر، قام الأطفال اليهود بعمل تقسيم يضم مجموعتين عرقيتين، وقد كان هناك تحيز إيجابي

الدلالات النفسية لرسومات الأطفال الفلسطينيين "بعد حرب غزة"

عند أطفال الروضة للمجموعة العرقية التي ينتمون لها، وتحيز سلبي للمجموعة الأخرى، والأطفال في مرحلة المراهقة المبكرة كان عندهم تحيز سلبي للمجموعة الخارجية.

وفي دراسة لماكلينون وكيرز (McIernon & Cairns, 2001) درس الباحثان أثر العنف السياسي على أطفال المرحلة الأساسية حيث طلب الباحثان من ١٨١ تلميذ وتلميذة بروتانتين في المرحلة الأساسية الدنيا تتراوح أعمارهم ٦-٧ سنوات في ٣ مدارس (مجموعات) تمثل شمال أيرلندا وبريطانيا (مناطق لا عنف فيها، مناطق فيها عنف سياسي عال، مناطق فيها عنف سياسي منخفض) أن يرسموا مرتين، مرة حول الحرب ومرة حول السلام ثم تم سؤالهم من قبل الباحثين عن الموضوعات التي رسموها، وبينت النتائج أن الأطفال الأيرلنديين (المناطق التي كان فيها عنف سياسي عال) ركزوا في رسوماتهم الخاصة بالسلام على غياب ملامح الحرب والعنف مقارنة بالأطفال البريطانيين (مناطق لا عنف فيها)، وبينت النتائج أيضا أنه لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين رسومات الأطفال في المناطق المختلفة من حيث التعبير عن الأمور المادية المتعلقة بالحرب والتمثلة في السلاح، والجنود، وعمليات الحرب، وبينت النتائج وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين الذكور والإناث من حيث بيان معرفة أكثر بالحرب ومتعلقاتها.

وقام جروس وهاين (Gross & Hayne, 1999) بدراسة أثر الرسم على تقارير الأطفال الشفوية لتجربة مروا فيها، وقد بينت النتائج لتجربتين أن الأطفال الذين أتيت لهم الفرصة للرسم ثم الحديث من خلال مقابلة تذكروا معلومات أكثر من الأطفال الذين طلب منهم التذكر والقول فقط، وقد تكررت النتائج عندما تمت مقابلة الأطفال بعد يوم أو ٦ أشهر بعد الحدث وحتى بعد سنة، وقد بينت النتائج أن الزيادة في المعلومات التي قالها الأطفال الذين أعطوا الفرصة للرسم لم تكن بمعزل عن دقتها. وتقتصر النتائج أن الرسم يسهل قدرة الأطفال على التعبير عند الحديث عن خبراتهم السابقة في البيانات الإكلينيكية والقانونية.

أما دراسة البور وأخرين (Elbedour et al, 1997) والتي أجريت على مجموعة من الأطفال العرب في إسرائيل والضفة الغربية وقطاع غزة من خلال الرسم الحر، فقد بينت أن الأطفال الأكثر عرضة للصراع يميلون إلى تنظيم هويتهم الشخصية بطريقة ما بحيث يكون العدو جزءاً منها، وهذا يؤدي إلى جعل الموقف الذي يحدث فيه الصراع مستمرا بشكل ذاتي.

وفي دراسة لبترل وأخرين (Butler et al, 1995) حيث قاموا بعمل تجربتين، في التجربة الأولى، شارك ٣٢ طفل أعمارهم من ٥-٦ في حدث مهم ثم تمت مقابلتهم بعد يوم، وطلب من نصف الأطفال رسم ما حدث لهم والنصف الآخر طلب منهم التحدث عن الحدث، وفي الحالتين، تم وضع الدرجات للسلوك الكلامي فقط، وبينت النتائج أن الأطفال في مجموعة الرسم كانوا أكثر

د. جميل الطهراوي و د. سناء أبو دقة

دقة وذكروا معلومات أكثر مقارنة بالمجموعة الأخرى، وخاصة عندما طلب منهم الإجابة على الأسئلة. في التجربة الثانية، شارك ٣٢ طفل أعمارهم بين ٥-٦ سنوات و ٣٢ طفل أعمارهم ٤ سنوات في نفس التجربة السابقة ثم تمت مقابلتهم بعد شهر، الأطفال الذين تتراوح أعمارهم بين ٥-٦ سنوات في مجموعة الرسم تذكروا معلومات أكثر من الأطفال في مجموعة الحديث بعد مرور شهر، ولكن الرسم لم يعمل على زيادة المعلومات عند الأطفال من عمر ٣-٤ سنوات. النتائج هنا هامة، خاصة أنها مرتبطة بشهادة الأطفال القانونية.

وقد ساعد الاطلاع على ما توفر من الدراسات السابقة الباحثين في بلورة فكرة هذه الدراسة، التي تشابه في اهتمامها مع غيرها من الدراسات برسومات الأطفال ومحاولة تحليلها، مع الأخذ بالنظر أن الظروف التي أجريت فيها هذه الدراسة كانت أشد قسوة وأكثر عنفاً، وقد عايش الباحثان حروباً كثيرة في المنطقة، ولم تصل أي منها في حديثها وتركيزها إلى ما وصلت إليه حرب غزة - على الرغم من قصر مدتها نسبياً - إلا أن الدراسات أعطت مؤشراً دالاً ومشجعاً للباحثين للمضي قدماً في دراستهما، لتأكيد أغلبها على أهمية دلالات الرسوم على ما يجول بخاطر الأطفال وعلى تجسيدها للخبرات ذات الأثر القوي عليهم.

وفي حدود علم الباحثين فإن الدراسات العربية التي اهتمت برسومات الأطفال قليلة منها (ملحم، ١٩٨٢)، ويأمل أن تكون هذه الدراسة إضافة عديدة ونوعية.

إجراءات الدراسة

منهج الدراسة

استخدم الباحثان أسلوب تحليل المحتوى كأحد تقنيات المنهج الوصفي الذي يصف الظاهرة كما هي في الواقع، ويعبر عنها تعبيراً كمياً وكيفياً (الحسين وباسين، ٢٠٠٤).

عينة الدراسة

طبقت الدراسة في شهر مارس ٢٠٠٩ - بعد انتهاء الحرب بشهر ونصف تقريباً - على عينة قوامها (٤٤٥) تلميذاً وتلميذة من تلاميذ الصف الثالث الابتدائي، من ست مدارس ابتدائية حكومية تم اختيارها عشوائياً، في محافظة شمال غزة - أكثر المناطق تضرراً بالحرب - وقد تم تناول رسومات الأطفال الذين رسموا الحرب فقط وعددهم (٣٧٠) فقط موزعين كالتالي:

الدلالات النفسية لرسومات الأطفال الفلسطينيين "بعد حرب غزة"

جدول (١): توزيع أفراد العينة حسب متغير الجنس

رسم الحرب	التكرار	%
ذكور	١٦٠	٣٦
إناث	٢٨٥	٦٤
العدد الكلي	٤٤٥	١٠٠

أداة الدراسة

قام الباحثان بإعداد بطاقة لتحليل رسومات الأطفال ، وقد تم إعداد بطاقة التفريغ حيث تناولت الأجزاء التالية: جنس الطالب، الرسم يعبر عن الحرب، استخدام الطالب الكتابة إلى جانب الرسم، يوجد رسم للتالي: الطائرة، الآليات الحربية " دبابة، جرافة، جيب"، سيارة إسعاف، صواريخ مقاومة، صواريخ وقنابل العدو، جنود إسرائيليين، مقاومين، شهداء، مصابين، أشخاص يهربون، بيوت مهدمة، مساجد مهدمة، حرائق ودخان، وغير ذلك من رسومات لها علاقة بالحرب، عدم تلوين الرسم، استخدام ألوان داكنة (أسود ، بني، كحلي..)، استخدام ألوان فاتحة (أحمر، أصفر، برتقالي، أخضر فاتح..)، ملاحظات عامة (متعلقة بكتابة الأطفال)، ملاحظات عامة عن الرسم بشكل عام.

إجراءات التحليل وخطواته

تم اتخاذ الإجراءات التالية لتسهيل عملية تحليل مضمون الرسومات:

- ١ - يتم ترقيم كل رسمة باعطائها رقماً خاصاً بها.
 - ٢ - تستخدم بطاقة التحليل لتفريغ محتويات الرسم حسب الخانات الموجودة بحيث إذا كان الرسم يتضمن موضوع التفريغ توضع علامة (/)، وتترك الخانة فارغة في حال عدم وجودها.
 - ٣ - يتم تفريغ الجزء المتعلق بتعليقات الأطفال على الرسم في خانة خاصة بذلك.
- أما بالنسبة لخطوات التحليل فقد اتبع ما يلي: تم قيام مساعدي الباحثين بعملية التحليل لرسومات الأطفال، بعد الاتفاق على إجراءات التحليل السالفة الذكر، بعدها قام الباحثان بمراجعة ومقارنة نتائج التحليل، ثم تم إعداد قوائم التحليل.

صدق التحليل

لضمان توافر درجة مناسبة من صدق التحليل المراد القيام به لمضمون الرسومات تم تطوير قائمة التحليل بناءً على أسئلة الدراسة وعلى نتائج الدراسات المتخصصة التي أجريت في هذا المجال، ثم تم عرض قائمة التحليل على عدد من الأساتذة المتخصصين في التربية، وتم عمل بعض التعديلات لتصبح القائمة جاهزة للاستخدام.

ثبات التحليل

لضمان درجة مناسبة من الثبات للتحليل الذي يستند إلى ما يصدر من أحكام حول مضمون أسئلة الرسومات، تم اتخاذ الإجراءات التالية:

١ - تحديد قواعد عامة موحدة ودقيقة لعملية تحليل الرسومات يلتزم بها المحللون أثناء القيام بعملية التحليل.

٢ - تحديد المعاني للمفهوم والرسومات التي تستخدم بحيث يكون هناك اتفاق موحد حول ذلك.

٣ - قيام شخصين بعملية التحليل في ضوء القواعد المحددة وطبقاً للمفاهيم المتفق عليها، وقد بلغت نسبة الاتفاق بينهما باستخدام معادلة هولستي Holesti لعينة من الرسومات عددها ٥٠ رسماً، ٠,٨٩. وهذه نسبة اتفاق مناسبة.

وتم رصد النتائج ومعالجتها إحصائياً من خلال استخدام الإحصاء الوصفي، ومن ثم تم استخلاص نتائج الدراسة للإجابة عن أسئلتها.

نتائج الدراسة

نتائج السؤال الأول والذي كان نصه:

ما الوزن النسبي الذي تمثله رسومات الأطفال المعبرة عن أحداث حرب غزة، من مجموع رسومات أطفال عينة الدراسة؟

لقد بينت النتائج ان (٨٣,٢%) من اطفال العينة رسموا الحرب بشتى تفاصيلها، وصوروا جوانبها المختلفة كما كانت على أرض الواقع، فلا يكاد يختفي أي عنصر من عناصر الحرب من مجموع رسوماتهم، وسيتم عرض ذلك تفصيلاً في معرض الإجابة عن التساؤل الثاني". بينما قام (١٦,٨%) من الأطفال برسم رسومات لا علاقة لها إطلاقاً بالحرب، تناولت في أغلبها المنتزهات وشاطئ البحر والزهور.

وأظهرت التكرارات أن تأثر الطالبات الإناث بموضوع الحرب كان أكبر بقليل من الطلاب الذكور، ولكن النتائج الإحصائية بينت أن الفروق غير داله عند استخدام اختبار مربع كاي، حيث

الدلالات النفسية لرسومات الأطفال الفلسطينيين "بعد حرب غزة"

كانت قيمة مربع كاي = ١,٨٣٣ . والجدول (٢) يوضح الأعداد والنسب المئوية للطلاب والطالبات الذين رسموا الحرب.

جدول (٢): أعداد ونسب الأطفال الذين رسموا الحرب حسب الجنس

الجنس	رسم الحرب	التكرار	%
ذكور	نعم	١٠٨	٨١,٢
	لا	٢٥	١٨,٨
إناث	نعم	٢٠٥	٨٦,٥
	لا	٣٢	١٣,٥

إن نسبة الأطفال الذين رسموا الحرب كانت (٨٣%)، وهذه لا شك نسبة مرتفعة، لا سيما وأن الباحثين شددوا في تعليماتهما للمساعدين - الذين قاما بتطبيق الدراسة - على ألا يلمحا أو يصدرا أية إichاءات للتلاميذ تتعلق بمحتوى الرسومات، وأن يطلق الخيار لهم ليرسموا ما يشاءون، وهذا يدل على أن تجربة الحرب كانت قاسية على الأطفال وأنها تشغل أفكارهم، وأن صور ما رأوه وسمعوه لا تزال ماثلة في خاطرهم، وهي لن تذهب من ذاكرتهم وتخيلاتهم بسهولة، وهذا ما بينته الدراسات التي درست فظاعة ممارسات الاحتلال على أفراد الشعب الفلسطيني (الصلاحات وابحيص، ٢٠٠٩؛ صالح وعلی، ٢٠٠٨؛ والكيالي، ٢٠٠٩). وهذا يشابه ما توصلت إليه دراسة مؤسسة السلام الكوني (٢٠٠٨). وللحقيقة فإن الباحثين عايشا أكثر من أربعة حروب سابقة لم تكن بقسوة الحرب الأخيرة حتى على الأشخاص البالغين، فقد كانت المباني تهتز بطريقة عنيفة من شدة الانفجارات، بالإضافة إلى تغطية القنابل الفسفورية مناطق واسعة لأنها كانت تنفجر في الأعلى ثم تنتسح دائرة نزولها مما كان يسبب الرعب للصغار والكبار، ويرى الباحثان أن آثار الحرب ستبقى مؤثرة على الأطفال بطرق مختلفة قد تستمر معهم حتى عندما يكبرون.

كما أن إظهار الجوانب المختلفة للحرب يظهر القدرة التصويرية والتخيلية الكبيرة للأطفال، فقد غطوا الحرب بجميع جزئياتها، مما أعطى للباحثين انطباعاً بأنه لا يمكن زيادة هذه العناصر فيما لو كانت عينة الدراسة من الأشخاص البالغين.

د. جميل الطهراوي و د. سناء أبو دقة

نتائج السؤالين الثاني والثالث والذي نصهما: ما أكثر العناصر المعبرة عن الحرب تكراراً في رسومات الأطفال؟ وما الدلالات الانفعالية الأكثر بروزاً في تلك الرسومات؟
للإجابة على هذين التساؤلين قام الباحثان بتفريغ الرسومات في الاستبانة الخاصة بالدراسة لإحصاء الرسومات الدالة على الحرب، وسيستعرض الباحثان الدلالات الانفعالية والنفسية بعد عرض نتائج الرسومات مباشرة والتي سيتم ترتيبها تنازلياً حسب تكراراتها لدى أطفال العينة.

جدول (٣) يوضح حجم وتكرار العناصر الدالة على الحرب في رسومات الأطفال

نوع الرسم	التكرار	%
الطائرات الإسرائيلية	٢٣٠	٦٢,٢
بيوت ومساجد مهتمة	١٩٢	٥١,٩
صواريخ وقذائف العدو	١٨١	٤٨,٩
الشهداء	١٦٢	٤٣,٨
الآليات العسكرية الإسرائيلية	١٣٩	٣٧,٦
مقاومين فلسطينيين	٩٦	٢٥,٩
سيارات الإسعاف	٨٢	٢٢,٢
أشخاص يهربون	٥٩	١٥,٩
جنود إسرائيليون	٥٦	١٥,١

المرتبة الأولى: رسم الطائرات الإسرائيلية

لقد تكرر رسم الطائرات لدى ٦٢,٢% من الأطفال، مما جعل (رسم الطائرة) في المرتبة الأولى في التعبير عن الحرب، وقد لفت ذلك انتباه الباحثين للإحساس بما شعر به الأطفال من الرعب من الأصوات المرعبة التي كانت تصدرها الطائرات ناهيك عن قذائفها وصواريخها، كما أن الطائرات كانت الأكثر مشاهدة للجميع نظراً لارتفاعها وتغطيتها لجميع الأماكن السكنية في القطاع، بخلاف الآليات التي اقتحمت أماكن محددة، ومن الطريف أن بعض الأطفال رسموا أنواعاً مختلفة من الطائرات فمنها الطائرات الحربية والطائرات العمودية والطائرات الآلية (بدون طيار) وقد قام بعضهم بكتابة نوع الطائرة بجوارها وخصوصاً كلمة (زنانة) وهذا الاسم الذي يطلقه السكان على الطائرات التي بدون طيار، نظراً لمكوئها ساعات طويلة فوقهم

الدلالات النفسية لرسومات الأطفال الفلسطينيين "بعد حرب غزة"

وإصدارها اصواتاً مزعجة، وفي أغلب الحالات كان الأطفال يرسمون الطائرات وهي تطلق صواريخها وقذائفها نحو المنازل أو الأشخاص.

المرتبة الثانية: رسم بيوت ومساجد مهدمة

تكرر رسم البيوت والمساجد المهدمة في أكثر من نصف الرسومات، وهذا في الغالب يشير لأمرين هامين، أحدهما يتعلق بعدد البيوت والمساجد التي قصفت أثناء حرب غزة والتي تجاوز عددها خمسة آلاف منزل ومسجد مما يعني أنه لا يكاد يخلو حي من هذه المشاهد المروعة والتي من المتوقع أن يشاهدها الأطفال أمامهم، أو أن يذهبوا لمشاهدتها في الساعات القليلة التي كانت توقف فيها إسرائيل إطلاق النار، والأمر الثاني يتعلق بحب الفلسطينيين كباراً وصغاراً لبيوتهم، فقد عبر الكثير منهم عن أن البيت المهدم هو بيته، وقد أشار ٢٥ تلميذ (6.8%) من أفراد العينة) إلى أن المبنى المقصوف عبارة عن مسجد، كما لا يخفى تأثر الأطفال بقصف المساجد حيث يتردد الكثير منهم عليها لحفظ القرآن، أو يرافقون آباءهم أيام الجمعة للصلاة. ومن الجدير ذكره أن (٣.٤%) - ١٦ طفلاً - من أفراد العينة قاموا برسم المسجد الأقصى، في إشارة ربما إلى إحساس الأطفال بأن هناك ما يربط بين الحرب على غزة والمسجد الأقصى.

المرتبة الثالثة: رسم صواريخ وقذائف العدو

كان من المنطقي أن يتأثر الأطفال بوجود الطائرات بنسبة أعلى من وجود القنابل والصواريخ التي تنطلق منها، فقد كان القصف لا يستهدف المناطق بنفس الكثافة، كما أن القذائف لم تكن ترى في أغلب الأحيان، ولكن الأصوات المرعبة للانفجارات جعلت الأطفال يجسدون ذلك برسم الصواريخ والقذائف الهابطة من أعلى، وقد لوحظ أن اتجاهها في الغالب نحو المنازل أو أشخاص أموات ومصابين من هذه القذائف، ومن الطريف أن ٣٣ طفل (9.8% من أفراد العينة) رسموا القنابل الفسفورية بطريقة واضحة - تشبه (الإخطبوط)، حيث يوجد نقطة مركزية ينبثق منها عشرات الخطوط الرفيعة الفرعية لتكون دائرة متسعة أكثر انتشاراً من البقعة الأساسية. ويرى الباحثان في هذا دليلاً واضحاً على استخدام الجيش الإسرائيلي للقنابل الفسفورية، حيث أن هذا النمط من الانفجار لم يكن معروفاً لدى الكبار، فالأمر لا يحتاج للجان تحقيق وفحوصات كثيرة روتينية. وقد رسم ٢٢,٤% (٨٣ طفلاً) من الأطفال حرائق ودخان انبعث في أماكن مختلفة من أثر القذائف والصواريخ الإسرائيلية، وربما يرجع الفرق في النسب لأن ليس كل من شاهد الصواريخ والقذائف رأى بالضرورة مكان انفجارها وما ينبعث منها من حرائق ودخان.

د. جميل الطهراوي و د. سناء أبو دقة

المرتبة الرابعة: رسم الشهداء

أكثر الأطفال من رسم الشهداء، فقد تم رسمهم من 43.8 منهم (١٦٢ طفلاً)، مما يدل على ارتفاع العدد الفعلي للشهداء في حرب غزة، حيث لم يبق حي صغير في جميع أنحاء القطاع إلا وسقط منه عدد من الشهداء، مما جعل الأطفال يرددون أسماءهم ويذهبون لمشاهدة مراسم الدفن وأماكن تواجد الكبار للعزاء، وقد لاحظ الباحثان أن أغلب الأطفال كتبوا كلمة (شهيد) بالقرب من الأجساد التي رسموها لأن أغلبهم لم يرسم الجسد بشكل أفقي مواز لسطح الأرض (لصعوبة ذلك على الطفل) فقد كانوا يرسمونهم كأنهم أحياء (بشكل متعامد مع الأرض) لذا فقد كانوا يؤكدون للمشاهد كتابةً، بأن ما يقصدونه هو شهيد وليس شخصاً حياً. ومن الجدير بالذكر أن ٢٦,٥% من الأطفال (أي ٩٨ طفلاً) رسموا جرحى ومصابين، وقد ميزوهم بلون الدم ورسمهم محمولين على الحملات الخاصة بالإسعاف.

المرتبة الخامسة: رسم الآليات العسكرية الإسرائيلية

أظهرت النتائج أن (٣٧,٦%) من الأطفال قاموا برسم آليات إسرائيلية، منها الدبابات وناقلات الجند والسيارات العسكرية، ويرى الباحثان أن هذه النسبة معقولة إذا ما قورنت بمن رسموا الطائرات، حيث إن توغل الآليات العسكرية كان في مناطق محددة في قطاع غزة، مما يعني عدم مشاهدة الجميع لها، مع أن أغلب أطفال العينة من مدارس قريبة من المناطق الحدودية، وقد ميز الأطفال في رسوماتهم بين الأنواع المختلفة من الآليات العسكرية، فمثلاً ميز الأطفال الدبابات عن غيرها بالمدفع الكبير في مقدمتها وبعجلاتها الكثيرة المتصلة بجنزير.

المرتبة السادسة: رسم مقاومين فلسطينيين

كما أظهر الجدول فإن ٩٦ طالباً (٢٥,٩% من أفراد العينة) عبروا عن وجود المقاومة الفلسطينية، ويرى الباحثان في ذلك ما يشير إلى إحساس الأطفال بما يدور حولهم، وقد يعكس ذلك تأييد هؤلاء الأطفال للمقاومة الفلسطينية، حيث أن معاشة المضايقات المستمرة للاحتلال الإسرائيلي قبل وأثناء الحرب، تثير روح العناد والمقاومة لدى الكبار والصغار، ويظهر ذلك في تمييز الأطفال لصواريخ المقاومة حيث ظهر ذلك من اتجاهها وطريقة انطلاقها من الأرض للجو، بالإضافة إلى كتاباتهم بجوارها (صواريخ القسام) وهذا ما يطلق على صواريخ المقاومة الفلسطينية محلية الصنع، ولا يستبعد الباحثان فرضية أن الأطفال الذين رأوا المقاومين فعلياً هم من قاموا برسم المقاومين، لا سيما أن أغلب أطفال الدراسة يقطنون في أحياء قريبة من المناطق الحدودية، وقد ميز (١٩,٥%) - ٧٢ طفلاً - من الأطفال صواريخ المقاومة بكتابة أسماء

الدلالات النفسية لرسومات الأطفال الفلسطينيين "بعد حرب غزة"

الصواريخ، بالإضافة إلى رسم قواعد إطلاقها البسيطة، إذ أن أغلبها كان من التصنيع المحلي، ومن السهل رسم الشكل الذي يميزها.

المرتبة السابعة: رسم سيارات الإسعاف

رسم ٢٢,٢% من أطفال الدراسة - ٨٢ طفلاً - سيارات إسعاف، يحيط ببعضها رجال الإسعاف، ويحملون الجرحى على النقلات الخاصة بهم، وقد ميز الأطفال سيارات الإسعاف بشكل السيارة وبالعلامات الدالة على الإسعاف (كالهلال الأحمر) وقد كتب الكثير منهم كلمة إسعاف على السيارة أو بجوارها، ويرى الباحثان في رسم سيارة الإسعاف من هذه النسبة من الأطفال ما يدل على حسهم المرهف، وإحساسهم بمعاناة الآخرين، وكأنهم يساعدون الجرحى بإيجاد سيارات الإسعاف جاهزة لمساعدتهم ونقلهم إلى المستشفيات لإنقاذ حياتهم، وربما كان وجود سيارة الإسعاف يعطي الأطفال الشعور بالأمان حيث إنها الآليات الوحيدة التي ظهرت في الرسومات وليست للجيش الإسرائيلي (أي أنها غير معادية).

المرتبة الثامنة: رسم أشخاص يهربون

يعزو الباحثان رسم بعض الأطفال لأشخاص يهربون لمعايشتهم هذه الصورة الواقعية، وربما كان الطفل نفسه جزءاً من هذا الهروب، فمن الجدير ذكره هنا، أن آلاف العائلات هربت من بيوتها في المناطق التي أجريت فيها الدراسة، وقد لجأ أغلبهم إلى المدارس وإلى بيوت الأقارب والأصدقاء، ولاشك أن هذه تجربة قاسية للأطفال، حيث عانوا - هم وعائلاتهم - من المتاعب في تدبير مستلزمات الحياة اليومية من شراب وطعام وأماكن نوم، ناهيك عن تعرض بعضهم للقصف حتى أثناء لجوئهم للمدارس.

المرتبة التاسعة: رسم جنود إسرائيليين

رسم ١٥,١% (٥٦ طفلاً) من أفراد العينة الجنود الإسرائيليين وهم يلتفون حول الآليات، ويحملون الأسلحة، وقد يكون ذلك تجسيدا لصورة الطرف الآخر الذي يخيفهم، أو ناتجا عن الرؤية الفعلية للجنود خصوصاً أنهم اجتاحوا الكثير من المناطق السكنية الحدودية، وقد سيطروا على بعض البيوت فيها، بعد أن كانوا يحجزون جميع أفراد العائلة في غرفة واحدة ويمنعونهم من الحركة، وهذا ما أظهرته نتائج دراسة البدور وآخرون (١٩٩٧) والتي توصلت إلى أن الأطفال الذين يعايشون الصراع، يجعلون العدو جزءاً من هويتهم.

ويرى الباحثان أن التكرارات في رسوم أطفال العينة جاءت بشكل منطقي من حيث علاقتها بالواقع، ومجريات الحرب كما حدثت، وهذا يشير إلى قدرة الأطفال الفلسطينيين على التفاعل مع الأحداث من حولهم، واستيعاب الأحداث الجارية.

د. جميل الطهراوي و د. سناء أبو دقة

وقد ثبت عبر عدة أجيال سابقة أن المواطن الفلسطيني يكتسب الكثير من القدرة على مواجهة أعباء الحياة، وإثبات ذاته وزيادة دافعية الانجاز لديه، من خلال معاشته للحروب والانتفاضات وتحدي الاحتلال، مما أكسبهم صلابة في الشخصية وقدرة كبيرة على التكيف. أما عن الانفعالات فقد أظهرت الرسومات أن الحرب تمثل الحياة بما تحويه من مشاعر مختلفة لدى هؤلاء الأطفال، إذ أن مجرد رسم الحرب كان يعني الكثير من حيث شغلها حيزاً كبيراً من أفكارهم وانفعالاتهم. كما دلت التكرارات على الوعي الشامل للأطفال بما يدور حولهم، فقد استطاعوا تغطية الجوانب المختلفة للحرب مع الأخذ بالاعتبار صعوبة التعبير بالرسم عن جميع ما نريد قوله، وظهر ذلك بوضوح عندما أراد الأطفال تمييز الشخص الميت مما دفعهم لإظهار ذلك كتابةً. نتائج السؤال الرابع الذي نصه: ما دلالات استخدام الكتابة في رسومات الأطفال المعبرة عن الحرب؟

أظهر تحليل الرسومات أن أكثر من نصف أطفال العينة استخدم الكتابة مع الرسم، والجدول التالي يظهر عدد ونسبة الأطفال الذين قاموا بذلك:-

جدول (٤): استخدام الكتابة للتعبير عن الرسم

النسبة المئوية	العدد	
٥٦,٢	٢٠٨	نعم
٤٣,٨	١٦٢	لا
١٠٠	٣٧٠	العدد الكلي

استخدم (٥٦,٢%) من الأطفال الكتابة في لوحاتهم، ويبدو أن أغلب الأطفال قاموا بذلك لإيصال ما يريدون إيصاله للمشاهد، وقد لاحظ الباحثان أن الطفل يلجأ للكتابة عندما يشعر أن الرسم لا يكفي لإيصال الفكرة التي يريدتها، ومن ذلك كتابة كلمة: "شهيد، إسعاف، زنانة... الخ"، أو لتأكيد فكرة ما، كأن يميزوا صواريخ المقاومة بكتابة: "صواريخ القسام" أو الجيش الإسرائيلي بكلمة "يهود" وقد تضمنت الرسومات أيضاً كتابة شعارات إسلامية تعود الكبار ترديدها في اللحظات الصعبة، كالحروب وغيرها مثل: الله أكبر، وحسبنا الله ونعم الوكيل، كما لوحظ أن غالبية من يجيدون الرسم لم يستخدموا الكتابة.

الدلالات النفسية لرسومات الأطفال الفلسطينيين "بعد حرب غزة"

ويجمل الباحثان ملاحظتهما للكتابات الموجودة على رسومات لأطفال بالنقاط التالية:

- ١ - أن أغلب الأطفال لجأ للكتابة، مما يدل على عدم رضا الطفل عن مستوى تعبير رسمته عما يجول بخاطره، فهو يريد تأكيد وصول الفكرة.
 - ٢ - تصرف الأطفال بذكاء لإظهار صور الشهداء والذين قد يبدون في رسوماتهم كأنهم أشخاص أحياء، مما دفعهم لكتابة كلمة (شهيد).
 - ٣ - استخدم الأطفال الكتابة أحياناً، للتمييز بين رسوم قد تتشابه وتلتبس على المشاهد، ومن ذلك تمييز صواريخ المقاومة، والإشارة للجنود الإسرائيليين بكلمة (يهود).
 - ٤ - كانت الكتابة أحياناً لإيصال فكرة ما، يريد الطفل إظهارها ولا يمكن إيصالها رسماً، ومن ذلك تكرار كتابة العبارات التي تعلموها من الكبار من قبيل: الله أكبر..، حسبنا الله.. وغيرها من العبارات.
 - ٥ - بعض الكتابات كانت واقعية وموجودة على أرض الواقع، فمثلاً سيارات الإسعاف في العادة يكتب عليها كلمة (إسعاف) وهذا ما فعله بعض الأطفال.
- وعلى العموم يرى الباحثان أن كتابات الأطفال أظهرت إلى حد ما قدرًا من الذكاء وحسن التصرف لديهم، فقد خلت الكتابات من تكرار لا معنى له أو مجرد ذكر لما هو مرسوم، فقد نجح الأطفال - بصفة عامة - في تسخير الكتابة لإيصال ما يريدون إيصاله لمن يشاهد الرسم.
- نتائج السؤال الخامس والذي نصه: ما الدلالات النفسية للألوان الأكثر استخداماً في رسومات الأطفال؟

قام الباحثان بتصنيف الرسومات - بالنسبة لاستخدام الألوان - إلى صنفين رئيسيين: رسومات يغلب عليها الألوان الزاهية " الفاتحة "، رسومات يغلب عليها الألوان الداكنة " الغامقة". وكانت النتائج كالتالي:

جدول (٥): استخدام ألوان زاهية في الرسم

النسبة المئوية	العدد	
٧٨,٦	٢٩١	نعم
٢١,٤	٧٩	لا
١٠٠	٣٧٠	العدد الكلي

د. جميل الطهراوي و د. سناء أبو دقة

لا شك أن معاشية الحروب تمثل خبرات قاسية لدى البشر، لا سيما الأطفال منهم، وقد توقع الباحثان ارتباط هذه الخبرات بالانظرة القاتمة للواقع، مما قد يعكس في رسوماتهم بألوان غامقة وثقيلة، ولكن أظهر التحليل الكمي للرسومات - من حيث استخدام الألوان - أن العدد الأكبر من أطفال العينة (٦٧٨ و٦٠%) استخدم الألوان الزاهية (الفاتحة) وهذا عكس ما توقعه الباحثان، وقد يشير ذلك إلى أن لدى أطفال غزة قدرة على مواجهة مصاعب الحياة، وأنهم سريعو التكيف، ويحبون الحياة بألوانها الزاهية المفرحة، وربما كان لمرور أكثر من شهرين - بين حدوث الحرب وإجراء الدراسة - أثر في تخفيف وطأة الخبرات القاسية التي عايشها الأطفال. وعموماً يرى الباحثين أن هذا الأمر يحتاج إلى زيادة في البحث، وأنه يحتاج إلى دراسة معمقة، فمن معاشية الباحثين للواقع الغزي، وخبرتهم الطويلة في مجال الطفولة يريان أن الأطفال في غزة يحتاجون إلى الكثير من الدراسات العلمية الجادة، والتي إن أجريت ستظهر سمات وخصائص قد تختلف عن الأطفال في الدول العربية الأخرى بصورة كبيرة ومميزة.

نتائج السؤال السادس: والذي نصه، ما أبرز الفروق في متغيرات الدراسة بين رسومات الأطفال الذكور ورسومات الإناث؟

من خلال تتبع تكرارات محتوى الرسومات، فقد أظهرت النتائج بشكل عام أن الإناث كن أكثر تجسيدا للعناصر المختلفة الدالة على الحرب، كانت أبرز الفروق بين الأطفال الذكور والإناث كالتالي:

أولاً: الرسومات التي تكررت لدى الإناث أكثر منها لدى الذكور

جدول (٦): أعداد ونسب الأطفال في الرسومات، حسب الجنس

نوع الرسم	الجنس	التكرار	%
الطائرات	ذكر	65	48.9
	انثى	165	69.6
البيوت والمساجد المهتمة	ذكر	54	40.6
	انثى	138	58.2
الشهداء	ذكر	38	28.6
	انثى	124	52.3
سيارات الإسعاف والمصابين	ذكر	9	6.8
	أنثى	73	30.8

الدلالات النفسية لرسومات الأطفال الفلسطينيين "بعد حرب غزة"

الفروق في رسم الطائرات

أظهرت النتائج أن الإناث قمن برسم الطائرات أكثر من الأولاد الذكور وربما يعكس ذلك أنهن كن أكثر تأثراً وخوفاً من أقرانهن، كما أن الطائرات يمكن مشاهدتها وسماع صوتها من كل مكان ، إذ أن الأهالي - في الغالب- لا يسمحون للفتيات بالخروج في مثل هذه الظروف، مما يعني اتساع رقعة مشاهدة الأولاد لبقعة الحرب عن البنات، ومن المستغرب أن الأطفال الذكور في غزة قد يتدافعون في أحيان كثيرة للأماكن الخطرة دون تردد، فمثلاً قد يندفعون بالمئات لمشاهدة بيت أو سيارة مقصوفة، في حين يندر مشاهدة البنات في تلك المواقف.

الفروق في رسم البيوت والمساجد المهدامة

يلاحظ من الجدول ان نسبة البنات اللاتي رسمن بيوتاً ومساجد مهدامة فاقت نسب الأولاد الذكور، وقد يصعب تفسير ذلك تفسيراً دقيقاً، ولكن يرجح الباحثان أن مشاهد الدمار قد تكون أكثر تأثيراً على نفسية البنات منها على الأولاد، وهن ربما كن أكثر إحساساً بما يمثله البيت للطفل كمركز للأمن والطمأنينة والحنان، حتى أنه تكرر مشاهدة طفلات يبحثن بين أنقاض منازلهن عن ألعابهن أو أدواتهن ويبدو عليهن التأثر الشديد، هذه المشاهد كانت أقل مع الأطفال الذكور، وعلى العموم لا يستبعد الباحثان أثر ثقافة المجتمع في ذلك، والتي كثيراً ما تركز لدى الطفل الذكر مفاهيم معينة تجعله ينفرد من بعض التصرفات التي يربطها الكبار بالبنات، ومنها البكاء وطرق التعبير عن المشاعر.

الفروق في رسم الشهداء

يظهر بوضوح من الجدول ارتفاع نسبة رسم الشهداء لدى طفلات عينة الدراسة عنها لدى الأطفال الذكور، وتجدر الإشارة هنا أن ذلك كان عكس المتوقع، والذي يفترض اهتمام الذكور أكثر من الإناث في رسم الشهداء، فالأطفال الذكور كانوا أكثر احتكاكاً بأمر الشهداء أثناء حرب غزة وخلال الانتفاضة عموماً، ولعل أحد الانتقادات التي كانت توجه لرجال الأمن في غزة أثناء قصف السيارات والبيوت أن الأولاد يحيطون بمسرح الجريمة بأعداد غفيرة، كما أن الأولاد الذكور يتبعون جنازات الشهداء بالمئات، ويتواجدون حول السراقات الخاصة بهم. ويرى الباحثان أن زيادة رسم الشهداء لدى الإناث قد يعود لزيادة الحس المرهف لديهن عن الذكور ومعايشتهن لبكاء الأمهات التلكى والزوجات الأرمال، مما قد يكون السبب في تجسيدهن لصور الشهداء أكثر من أقرانهن الذكور. كما لا يستبعد الباحثان تأثير ميكانيزم الإنكار لدى الأولاد من حيث إنكار عدد الشهداء لدى الفلسطينيين والذي يعد انتصاراً للإسرائيليين، لاسيما وأن الفلسطينيين يقرون بأن الإسرائيليين ينكرون دائماً سقوط قتلى من جيشهم. إذن فالإنكار هنا

د. جميل الطهراوي و د. سناء أبو دقة

يحرر الأطفال من توابع نفسية سلبية تكون أقرب لمفهوم الهزيمة والمصاب الجلل، والتي يصورها المجتمع في ثقافته أنها تمس بالرجل وتقلل من رجولته.

الفروق في رسم سيارات الإسعاف والمصابين

أظهرت النتائج أن الإناث رسمن سيارات الإسعاف بصورة أكبر من الذكور، وقد يعود ذلك إلى بحث الإناث عن الأمان- الذي تمثله سيارة الإسعاف - أكثر من الأولاد الذكور، كما قد تدل على حسن التصرف وذلك بإحساس الطفلة بإحساس الآخرين أي المصابين أثناء الحرب وأن رسم الطفلة لسيارة الإسعاف قد يمثل نوعاً من الدعم والمساندة لهؤلاء الجرحى الذين لا يستطيع الطفل مساعدتهم فعلياً، ويدعم هذا التوقع ما أظهرته النتائج من فروق في رسم مصابي الحرب والذي كان التفوق فيه للإناث حيث بلغت النسبة المئوية ٣٠% مقابل ٢٠% للذكور.

ثانياً: الرسومات التي تكررت لدى الذكور أكثر منها لدى الإناث

جدول (7): أعداد ونسب الأطفال في الرسومات، حسب الجنس

نوع الرسم	الجنس	التكرار	%
الآليات العسكرية الإسرائيلية	ذكر	٧٧	57.8
	انثى	٦٢	26.1
المقاومين الفلسطينيين	ذكر	41	30.8
	انثى	55	23.2

الفروق في رسم الآليات العسكرية الإسرائيلية

أظهرت النتائج أن الأطفال الذكور كانوا أكثر رسماً للآليات العسكرية من الإناث، ويرى الباحثان أن ذلك ربما يعود لزيادة الفرص لدى الذكور للخروج من مناطق سكنهم إلى مناطق أخرى، إذ يرى الأطفال الفلسطينيون في ذلك نوعاً من الشجاعة، كما أنها تشبع رغبة عارمة في حب الاستطلاع، فقد يسمع الجميع أصوات الدبابات حتى من مسافات بعيدة، ولكن من الشجاعة الذي يستطيع أن يراها عن قرب، ويصبح ذلك حديثاً هاماً بينهم، فيصطحب من شاهد منهم من لم يشاهد وقد تصل الجرأة أحياناً ببعضهم لإلقاء الحجارة على تلك الآليات. كما قد يكون هناك نوع من الإعجاب الممزوج بالخوف لدى الأطفال الذكور بهذه الآليات الضخمة والتي لا تعبأ بما يعترض طريقها فتحطم وتدمر كل شيء.

الدلالات النفسية لرسومات الأطفال الفلسطينيين "بعد حرب غزة"

الفروق في رسم المقاومين الفلسطينيين

وتظهر النتائج أن الذكور رسموا مقاومين فلسطينيين أكثر من الإناث، ويرى الباحثان أن ذلك قد يرجع لزيادة اهتمام الأولاد بالمقاومة أكثر من البنات، فقد عايش الباحثان أحداثاً كثيرة خلال الانتفاضتين في غزة، وقد لامسا اهتمام الأولاد الذكور بالمقاومة وتقليدهم للمقاومين في ألعابهم، فمن المشاهد المألوفة في شوارع غزة لعب الأطفال الذكور بالأسلحة البلاستيكية ومطاردتهم لبعض مقلدين الأحداث الحقيقية التي كانت تجري أثناء المواجهات بين المقاومين وجنود الاحتلال.

وقد يكون للتنشئة الاجتماعية الأثر الأكبر في تفسير اهتمام الذكور بالمقاومة أكثر من الإناث، فتركيز الكبار في أحاديثهم على دور الذكور في مقارعة الاحتلال وقيامهم بالبطولات قد يرسخ لديهم هذه المفاهيم، مع العلم أن العنصر النسائي كان له دور كبير في المقاومة وترسيخ ثقافتها، إلا أن المقاومة ارتبطت في عمومها بالذكور، وعلى سبيل المثال لا الحصر، بلغ عدد الإناث المقاومات الفلسطينيات في السجون الإسرائيلية أثناء إجراء هذه الدراسة (٦٤) أسيرة فقط في حين بلغ عدد الذكور أكثر من عشرة آلاف أسير.

كما أن الأنثى بطبيعتها أقل ميلاً للعنف ويظهر ذلك في اختيار الأطفال لألعابهم، فكما أسلفنا نجد أطفال غزة في أيام الأعياد يطاردون بعضهم بعضاً بالألعاب التي تمثل الأسلحة (كالمسدسات والبنادق)، في حين أن هذا المشهد قلما تراه بين الإناث.

ثالثاً: الرسومات التي تكررت بنسب متقاربة لدى الجنسين

على الرغم من تفوق التلميذات عموماً على أقرانهن الذكور في تصوير الجوانب المختلفة الممتلئة لحرب غزة، إلا أن الفئتين تقاربتا في بعض الجوانب والتي كان أهمها:

جدول (8) أعداد ونسب الأطفال في الرسومات، حسب الجنس

نوع الرسم	الجنس	التكرار	%
الصواريخ والقذائف الإسرائيلية	ذكر	65	48.9
	انثى	116	48.9
اشخاص يهربون	ذكر	20	١٥,٠
	انثى	39	16.5
الجنود الإسرائيليين	ذكر	22	16.5
	انثى	34	14.3

د. جميل الطهراوي و د. سناء أبو دقة

رسم الصواريخ والقذائف الإسرائيلية

على الرغم من هذا التفاوت في رسم المقاومين، إلا أن الفئتين تعادلتا تقريباً في رسمهما لصواريخ المقاومة. وقد يعود هذا التقارب للفرص المتساوية للجنسين في ملاحظة إطلاق صواريخ المقاومة، في حين أن الأولاد الذكور تتاح لهم فرص أكبر لمشاهدة المقاومين أنفسهم، و كانت نسبة من رسموا القذائف والصواريخ الإسرائيلية متشابهة تماماً بين الجنسين، ومن الملفت للنظر أن الإناث تفوقن في تجسيد نوعية خاصة من هذه القذائف وهي القنابل الفسفورية الحارقة بشكلها المميز حيث تنطلق في اتجاهات شتى بما يشبه الألعاب النارية.

رسم أشخاص يهربون

أظهرت النتائج تقارباً في رسم الأشخاص الذين يكونون بين الأولاد والبنات. و يمكن تفسير ذلك على أن الأطفال الذين رسموا الأشخاص وهم يهربون، قد يكونون عايشوا ذلك فعلاً، إما بمشاركة أسرهم بالهروب من بيوتهم التي كان القصف قريباً منهم، أو أنهم شاهدوا عائلات أخرى كانت تترك منازلها فراراً من القصف، ولم يستطع الباحثان تحصيل أية إحصائيات رسمية حول أعداد العائلات التي تركت بيوتها في المناطق التي أجريت فيها الدراسة، ويرى الباحثان أن النسبة الموجودة في الجدول السابق، قد تكون مقارنة فعلاً لما حدث على أرض الواقع أي أنها تقارب نسب الأسر التي غادرت بيوتها فعلاً.

رسم الجنود الإسرائيليين

أظهرت النتائج تقارباً في رسم الجنود الإسرائيليين بين الجنسين، وربما يرجع تقارب أعداد الأطفال من الجنسين الذين رسموا جنوداً إسرائيليين، إلى عدم نزول الجيش الإسرائيلي كمشاة في أماكن كثيرة، إذ المعهود عنهم بقاؤهم في دباباتهم لساعات بل لأيام طويلة، ولم يكن من السهل مشاهدتهم، وكان من المتوقع أن يقوم الأطفال الذكور برسم الجنود أكثر من الإناث، لأنهم يحظون بمساحة من الحرية أكبر من الإناث حتى وإن كان ذلك في أوقات الخطر، مما يتيح لهم مشاهدات أكثر.

الخلاصة والاستنتاج:

عموماً أظهرت الدراسة أن أغلب أطفال العينة قاموا برسم الحرب "الحرب على غزة" ومتعلقاتها بشتى تفاصيلها، وصوروا جوانبها المختلفة كما كانت على أرض الواقع، فلا يكاد يختفي أي عنصر من عناصر الحرب من مجموع رسوماتهم، مما يدل على تأثرهم الواضح بفضاعة ما جرى فيها، وكان ترتيب الأشياء التي تم رسمها تنازلياً كالتالي: الطائرات، البيوت والمساجد المهدامة، الصواريخ والقذائف الإسرائيلية، الشهداء، الآليات العسكرية بأنواعها،

الدلالات النفسية لرسومات الأطفال الفلسطينيين "بعد حرب غزة"

المقاومين..، وظهر في الرسومات الخوف والفرح والحزن على الشهداء والمصابين، كما تجلى حب مساعدة الآخرين، وأيضاً روح المقاومة لدى هؤلاء الأطفال.

وأظهرت النتائج تفوقاً واضحاً للإناث في غنى الرسومات بالعناصر الدالة على الحرب، وشعورهن بمعاناة الآخرين خلالها، وقد يعزى هذا إلى تفوق الإناث على الذكور في قدرتهن على التعبير، وتصويرهن للجوانب المختلفة للحرب، فقد كانت لوحات الإناث أكثر دلالة، وملبئة بالحركة المعبرة عن الحرب وتداعياتها وآثارها، مما يشير إلى أن الإناث أكثر انفعالاً من أقرانهن الذكور. ولا يستبعد الباحثان أن ذلك قد يرجع في جزء منه إلى أن الأطفال الذكور يمارسون ميكانيزم الإنكار والذي قد يكون ترسخ لديهم عبر التنشئة الاجتماعية، وثقافة المجتمع التي لا تحبذ إيداء الذكر لبعض المشاعر كالخوف أو الاعتراف بقوة العدو، ومما يدعم هذه الرؤية أن الباحثين يلحظان أن الأطفال الفلسطينيين يحرمون من عيش الجو النفسي والاجتماعي المناسب لسنهم، فهم يهتمون بما يهتم به الكبار ويعايشون الأحداث الجسام ويتحدثون عنها، ولا تتاح لهم الفرص كبقية أطفال العالم من للتوجه لأماكن الترفيه والمنتزهات... الخ.

كما استخدم حوالى نصف افراد العينة من الأطفال الكتابة لشرح بعض الرسومات، والتي كانت في أغلبها تحمل رسالة هامة وذكية للمشاهد، لإحساس الطفل بأن ما رسمه لا يكفي لإيصال ما يريد إيصاله للمشاهد، ومن النتائج غير المتوقعة أن أكثر من ثلثي أطفال العينة من الأطفال استخدموا الألوان الزاهية على عكس توقعات الباحثين.

التوصيات:

يوصى الباحثان بالاهتمام بالدراسات الخاصة برسومات الأطفال لتوثيق ممارسات الاحتلال بحق الشعب الفلسطيني وخاصة الأطفال، واعتبار تلك الدراسات شهادات صادقة وبريئة لما عاناه أطفالها من تلك الحرب، كما يوصى الباحثان المؤسسات العاملة مع الأطفال بزيادة الأنشطة الخاصة بأهمية استخدام الفن واللعب للتخفيف عن أطفال غزة، ويطلب الباحثان وزارة التعليم بالاهتمام بالتربية الفنية والرياضية، وبزيادة الحصص الدراسية فيها، وتزويد المدارس بالإمكانات والأدوات اللازمة لممارسة أنشطتها.

يقدر الباحثان الظروف الصعبة التي عايشتها الأسر الفلسطينية في غزة أثناء إجراء الدراسة؛ وهذا لا يتعارض مع ضرورة توصية الآباء بالعمل قدر الإمكان على زيادة الاهتمام بالترويج عن أبنائهم، واصطحابهم إلى المنتزهات أو شاطئ البحر، والتخفيف من مشاهدتهم لنشرات الأخبار والبرامج التي تتحدث عن الحرب والتي قد يضطر الأطفال مشاهدتها بكثرة تبعاً لرغبة الكبار.

د. جميل الطهراوي و د. سناء أبو دقة

المراجع

- ١- الحداد، عبد الله و المهنا، عبد الله (٢٠٠٠). تطور رسوم الطفل التعبيرية من الطفولة إلى المراهقة. الكويت: مكتبة الفلاح.
- ٢- الصلاحات، سامي، ابحيص، حسن (٢٠٠٨). معاناة المرأة الفلسطينية تحت الاحتلال الاسرائيلي. سلسلة اولست انسانا. بيروت: مركز الزيتون للدراسات والاستشارات.
- ٣- الكيالي، عبد الحميد (محرر) (٢٠٠٩). دراسات في العدوان الإسرائيلي على قطاع غزة (عملية الرصاص المصبوب/ معركة الفرقان). بيروت: مركز الزيتون للدراسات والاستشارات.
- ٤- القريطي، عبد المطلب (٢٠٠١). مدخل إلى سيكولوجية رسوم الأطفال، الطبعة الثانية. القاهرة: دار الفكر العربي.
- ٥- المركز الفلسطيني لحقوق الانسان (٢٠٠٩). تقرير حقوق الإنسان. ٢٢-١-٢٠٠٩.
- ٦- بدري، مالك (١٩٩٧). سيكولوجية رسوم الأطفال. عمان: دار الفرقان.
- ٧- بدري، مصطفى (٢٠٠٥). الرسم عند الأطفال. الطبعة الاولى. عمان: دار صفاء للنشر والتوزيع.
- ٨- بسيوني، محمود (١٩٨٧). تحليل رسوم الأطفال. القاهرة: دار المعارف.
- ٩- الحسيني، سعد (مترجم) وياسين، عادل (مراجعة) (٢٠٠٤). مقدمة للبحث في التربية. كتاب مترجم. العين: دار الكتاب الجامعي.
- ١٠- صالح، محسن و على، ياسر - محرران (٢٠٠٩). معاناة الطفل الفلسطيني تحت الاحتلال الاسرائيلي. ، سلسلة اولست انسانا. الطبعة الثانية. بيروت: مركز الزيتون للدراسات والاستشارات.
- ١١- فرج، صفوت (١٩٩٢). الذكاء ورسوم الأطفال. القاهرة: دار الثقافة.
- ١٢- ملحم، سامي (١٩٨٢). خصائص رسوم الأطفال ذوي المشكلات السلوكية من سن (٦ - ١٢) سنة، في مدارس وكالة الغوث الدولية، في منطقة إربد التعليمية، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الأردنية، عمان.

الدلالات النفسية لرسومات الأطفال الفلسطينيين "بعد حرب غزة"

١٣ - مؤسسة السلام الكوني (٢٠٠٨). دراسة " رسوم الأطفال في زمن حرب تموز ٢٠٠٦".
<http://www.nowlebanon.com/Arabic/NewsArticleDetails.aspx?ID=53757>

تم الدخول إلى الموقع في مايو ٢٠٠٩.

- 14- Barenbaum, J, Ruchkin, V, Schwab-Stone (2004). The psychological aspects of children exposed to war: practice and policy initiatives. **Journal of Child psychology and psychiatry**, 45 (1), 41-62.
- 15- Butler, Sarnia; Gross, Julien; Hayne, Harlene (1995). The effect of drawing on memory performance in young children. **Developmental Psychology**. 31 (4), 597-608.
- 16- Elbedour, S., Bastie, D., Center, B. (1997). Identity Formation in the Shadow of Conflict: Projective Drawings by Palestinian and Israeli Arab Children from the West Bank and Gaza. **Journal of Peace Research**, 34 (2), 217-231
- 17- Gross, Julien; Hayne, Harlene (1999). Drawing facilitates children's verbal reports after long delays. **Journal of Experimental Psychology: Applied**. 5 (3), 265-283.
- 18- McLernon, F. & Cairns, Ed (2001). Impact of political violence on images of war and peace in the drawings of primary school children, **Peace and Conflict: Journal of Peace Psychology**, Volume 7, Issue 1 March 2001 , pages 45 – 57.
- 19- Teichman, Yona (2001). The development of Israeli children's images of Jews and Arabs and their expression in human figure drawings. **Developmental Psychology**. 37 (6), 749-761.